يعدو فيلان وراء الفيل البري والاثنان يشغلونهما الى ان يدانيا فيرميهُ الحابل بالوهق في عنقهِ و يوقف فيلهُ عن السير واذا اوقفهُ بغتة فقد يخنق الفيل البري . وهذا الاسلوب من الصيد كثير المخاطر ولا يمسك بهِ الاَّ الافيال القليلة السرعة . واهالي سيلان يصيدون الفيل بالوهق على الاقدام يطاردهُ اثنان و يرميانهِ بالوهق و يربطان طرفهُ بشجرة

وثمن الفيل الصغير غير البالغ ١٥٠ جنيهاً وثمن الانثى الكبيرة ٢٠٠ جنيه الى ٣٠٠ وثمن الفيل الكبير الناهين ٨٠ جنيهاً الى ١٦٠ جنيهاً

ويستخدم الفيل الداجن الآن في بلاد الهند لنقل الامتعة الثقيلة للجيش ولجر الخشب الى الانهار ولجر مركبات المدافع بدل الخيل ولا يستغنى عنهُ في البلاد التي لا طرق فيها او طرقها متخربة فانهُ يستخدم مثل دواب الحمل ومثل دواب الجر . ولا يزيد حملهُ على اربع مئة اقة اذا كانت الارض سهلاً وعلى مئتين وخمسين اقة اذا كانت الارض جبلية . واذا استخدم لجر الاثقال ربطت لهُ بحبل قصير فيمسك طرفهُ باسنانهِ ويرفع جانباً منهُ عن الارض و يسير بهِ بين المعلَّق والمجرور . والذكور اقوى من الاناث واكثر استخداماً وكل ما يستخدم لذلك ليس من الافيال الحسنة الخلق لان هذه يغالى بها و يقتنيها الملوك والامراء مراكب لهم ولصيد البراي النمر الهندي المخطط

الانتقاد في بلادنا

عدم في ثوب موجود

اكثر القراء يعلمون ما هو الانتقاد ولا يجهلون المراد بهِ فلا حاجة اذاً الى تعريفهِ وهو انواع كثيرة منها الانتقاد الاجتماعي للاخلاق والعادات والانتقاد السياسي لاعمال رجال الحكومة . والانتقاد العلمي الادبي لبضاعة الكتاب والادباء وكل ما تخطهُ اقلام العلماء وتمليهِ قرائح الشعراء والخطباء . وهو المقصود من هذه المقالة

على ان كثيرين من القراء يزعمون ان هذا الانتقاد انما وضع لتزييف أسقاط بضاعة الادب التي ذهب بها الخطأ كل مذهب حتى باتت مأكلاً للركاكة ومشرباً ومعيشاً للسخافة وملعباً . فاذا عثروا على انتقاد احد الكتب في صحيفة او مجلة حكموا عليهِ في الحال بانهُ من سقط المتاع واعرضوا عن اقتنائهِ والانتفاع بمطالعتهِ . وشيوع هذا الزعم كان من اكبر الاسباب التي اضاعت على القراء فوائد الانتقاد وشوهت محاسنهُ في عيون المؤلفين فانكروهُ ولم يشجعوا احداً من المشتغلين بهِ على نقد مؤلفاتهم كما سيأتي الكلام

ولكن مما لا ريب فيه ان تزييف بضاعة الادب المزجاة وتنبيه على عيوبها ومساوئها ليس من الانتقاد في شيء وانما هو عبارة عن تشهير امثال هذه المكتوبات وتحذير القراء من مطالعتها وحثهم على نبذها والابتعاد عنها . اما الانتقاد الحقيقي فالمراد به معرفة الصحيح من الفاسد والجيد من الرديء . والطيب من الخبيث . فهو كير الكتابة يصهر كل مكتوب ماحصاً فاحصاً . فان كان زبداً ظهر خبثاً في خبث والاَّ بدا غب التمحيص ذهباً خالصاً

وهذا يدلك على مبلغ فائدة الانتقاد وشدة منفعته وكونه من اكبر عوامل التقدم الادبي واهم اركان الارتقاء العقلي . لكنك قد تسألني قائلاً اذا كان الانتقاد على ما ذكرت من المزية والاهمية فلماذا لا نرى لهُ في اللغة العربية مضرب مثال ومسحب اذيال ؟ بل لماذا لا ينفك فيها الى الآن ميتاً في صورة حي او عدماً في ثوب موجود ؟ والجواب ان كثيرين من رجال النهضة الحديثة عنوا به عناية لا توصف وبذلوا غاية جهدهم في وضع اساسه ورفع ابراسه وتنشئة اغراسه وهذا المقتطف شاهد على ذلك من يوم انشائه فذهبت اتعابهم كلها ادراج الرياح ولم تقترن مساعيهم بشيء من النجاح . ولا يبرح الانتقاد كما كان منذ نصف قرن يطلع على قدم العجز والوناء عائزاً في الجدد ومتقدماً الى الوراء

ولهذا الجمود اسباب مختلفة اتحدت على انشائه واشتركت في انتاجه واهمها : —

اولاً القراء . لا يزال عامة القراء في الشرق الى الآن يخطئون المراد بالنقد ويعدونهُ — كما تقدم الكلام — حكماً قاطعاً على كون المنقود من سقط المتاع ونفاية البضاعة فيعرضون عن شرائه ولا يميلون الى مطالعته . ولا يخفى عليك ما ينشأ عن كساد بضاعته وعدم رواجها من الضرر المادي لمؤلفه او ناظمه او طابعه والخسارة الادبية للقراء . لهذا السبب ترى كثيرين من جهابذة النقد يحجمون عنهُ ولا يقدمون عليه ضناً بشهرة المؤلفين الادبية ان يضرَّ بها الانتقاد على خلاف المراد وحرصاً على كتبهم ان ينبذها القراء فتلقى في زوايا الكساد . وليس الامر كذلك في بلاد الغرب سواء كان في اوربا او اميركا . فان انتقاد المطبوعات عندهم من اكبر الذرائع لرواج سوقها ونفاد بضاعتها واقبال جماهير القراء على شرائها والاستفادة بمطالعتها . ولهذا تراهُ بينهم متسع النطاق عند الرواق واسع الاعراق . وهناك المنتقدون والمؤلفون والقراء جميعهم يعلمون ان النقد كير معادن العلم والادب وبه يتميز الذهب عن النحاس ويفرق بين الدر والخشب

جاءني يوماً احد الادباء بنسخة من قصة ترجمها من احدى اللغات الاوربية وطلب اليَّ ان انتقدها فاجبت طلبهُ وقرأت قصتهُ بتدبر وتروٍّ ووضعت فيها انتقاداً جريت فيه على

مقتضى الحال وراعيت مكان القراء من الفهم والزعم وجعلت كلامي تقريظاً في صورة انتقاد فعددت حسنات القصة واحدة واحدة وذكرتها مكبرة مجسمة واشرت الى ما في ترجمتها من انارة المعنى ورشاقة الاسلوب وفصاحة التعبير وبلاغة التركيب ونوهت ببراعة ناظم عقدها وموشي بردها ثم مررت بعيوبها الطف من مرور الوسن بالاجفان وارق من خطرات نسمات الصباح فوق وجنات الافنان . وقبلما اعددت مقالتي للطبع عرضتها على صاحب القصة واخذت اراقبهُ وهو يتلوها فرأيتهُ يوشك ان يطير سروراً وابتهاجاً بمطالعة عبارات التقريظ والاطراء والمدح والثناء ولكن لما وقع نظرهُ على بعض الغلطات التي اشرت اليها حدَّق اليَّ وحملق ثم وجم وجوم المغيظ والمحنق ثم قال وهو يكاد من شدة سخطه يتمزق : — « اراك تتعمد بخطئتي حط منزلتي عند الادباء واسقاط قصتي في عيون القراء » فعدت تقريظي خطئة لان عليهِ من الانتقاد سمحةً خفيفة لطيفة فكيف لو كان انتقاداً محضاً خالياً من اثر المهادنة والمساهلة . وحينئذٍ علمت انهُ عند ما طلب اليَّ ان انتقد قصتهُ انما اراد التقريظ البحت المصطلح عليهِ في هذه الايام للاينال في اطراء المناقب والمزايا والاغضاء عن المعايب والحزايا . فاجبتهُ الى ما اراد واسفت كل الاسف على مصير الانتقاد في هذه البلاد

ثانياً المنتقدون . لا يخفى ان المنتقدين في الشرق كثيراً ما يحيدون في انتقادهم عن مناهج العدل والانصاف ويضربون في تيهات الزيغ والاعتساف فينتقدون لا لتأييد المبادىء الصحيحة وتعميم القواعد الصالحة وتخليص جوهر الحقائق من عرض الاوهام وحفظ موارد اللغة الفصحى مصونة على قدر الامكان من كدر لهجات العوام بل لمجرد التحذلق وادعاء التفوق في العلوم والمعارف او التحامل على الذين ينتقدون كتبهم ومؤلفاتهم وتعمد تنقصهم بنشر عيوبهم وشهر سقطاتهم اما ملأً لحفيظة او حسداً على نعمة او لغير ذلك من المقاصد الدنيئة . وقد تمادى كثيرون منهم في هذا الامر المعيب حتى علق باذهان الناس ان الانتقاد في الشرق عبارة عن قذائف سباب ومثالب وشتائم ومطاعن يترامى بها الكتَّاب والادباء على ادنى اختلاف او اصغر خصام فتدور على اسلات السنتهم وترمى عن قسي اقلامهم نابية عن العصي والحجارة والمدى والطبنجات في ايدي العامة . فاذكر هذا ما شئت من الاسى والاسف ولا تنسَ ان المنتقدين في الغرب انما ينتقدون في الغالب لقصد واحد — إحقاق الحق وازهاق الباطل — وهو خير الاغراض واشرف المقاصد

ثالثاً اصحاب الكتب والمؤلفات . ويراد بهم اهل العلم والادب ومعاشر الشعراء والخطباء الذين تنشر الصحف والمجلات مقالاتهم وخطبهم وقصائدهم وتقرظ كتبهم ومؤلفاتهم

هؤلاء كلهم او جلهم شركاء القراء والمنتقدين في بقاء الانتقاد عندنا واقي القوي مخجل العرى او كما يقال رث الحبال متقطع الاوصال لانهم يجارون بعض القراء في اساءة فهم المراد بهِ ويعتمدون على معرفتهم الشخصية اعتماداً يكاد يوهمهم انهم منزهون عن الخطاء ويسيئون الظن بالمنتقدين فلا يصدقون انهم يأتون الانتقاد لتمحيص الحقائق مجرداً من احد الاغراض الدنيئة التي سبقت الاشارة اليها . ومن مجموع هذه الاعتبارات الثلثة يتولد فيهم كره الانتقاد وعدم الشعور باقل احتياج اليهِ . فاذا اتفق ان منتقداً انتقد لاحدهم مقالة او قصيدة او خطبة او كتاباً حمل عليهِ صاحب المقالة او الكتاب ولا حملة عنترة بن شداد واستخدم في تفنيدهِ ما شاء من ضروب الصلف والعناد . اني اكتب هذه المقالة واماي عدداً من احدى المجلات في احدها انتقاد مديد لكتاب حصيف انتقد بهِ احد الكتب انتقاداً يكاد يكون تقريظاً لانهُ افتتحهُ باطراء المؤلف والثناء عليهِ والاشارة الى ما امتاز بهِ كتابهُ من ذخر الفوائد والمنافع ثم عمد الى بعض الهفوات التي فيهِ وذكرها بما لا مزيد عليهِ من التلطف والتأدب . وفي العدد الثاني رد المؤلف الكتاب سلق فيهِ صاحب الانتقاد بالسنة حداد واستشهد السماء والارض بانهُ لم يجد في كل ما كتبهُ قيد شعرة عن محجة السداد

ومهما يكن من غرابة اعتقاد القراء في الانتقاد فشدة تحامل بعض المنتقدين على من ينتقدون كتبهم اعجب واغرب . واغرب منهما كليهما مجازفة كثيرين من الكتاب في ما يكتبونهُ بلا ثبت ولا تدبر اما لاعتقادهم في انفسهم العصمة والتنزه او لعدم ارتيابهم في صحة ما ينقلونهُ عن غيرهم . وكلا الامرين غي وغرور . واغرب من هذا كلهِ شدة عنادهم واصرارهم على ارتكاب الخطإ الذي يبح صوتك في تنبيههم عنهُ وتحذيرهم منهُ

هذه اسباب عدم تقدم الانتقاد في لغتنا . ومن رأي كثيرين من محبي هذا الفن الجميل انهُ لن تقوم لهُ قائمة عندنا الاَّ بمراعاة الامور الآتية : الاول مواصلة الكتابة فيهِ حتى يألفهُ القراء ويتعودوهُ ويدركوا كنه المراد بهِ . والثاني ان يبذل المنتقدون جهدهم في ان يكون انتقادهم حكماً صحيحاً يقضي بهِ الذهن الثاقب وعليهِ روح الاخلاص بلسان اللطف والادب ويحفظهُ يراع الحق على صحيفة الصدق مجرداً من الهوى ومنزهاً عن الغرض غير متحرين فيهِ سوى جوهر الحقيقة الذي من دونهِ كل شيء عرض . والثالث ان يقلع اصحاب الكتب والمؤلفات عن الصلف والعناد ويقبلوا بالشكر تصحيح كل خطإ يدلم المنتقدون عليهِ ذاكرين القول « اذا كان كاشف الخطإ عظيماً فالمعترف بهِ اعظم » وان العصمة والكمال لله وحدهُ وهو سبحانهُ ادرى واعلم

اسعد داغر